

في صحيفة حررت قبل بضع سنين، الى ضعف ملتون في الملاحظة البصرية ، وهو ضعف أحسب أنه كان موجوداً على الدوام — وذلك أن تأثير عماء كان من الممكن أن يؤدي الى تقوية الخصائص التعويضية أكثر مما كان ممكناً أن يزيد في نقيصة كانت قائمة من قبل . على أن السيد ويلسون نايت الذي كرس دراسة دقيقة للصور البيانية المتواترة في الشعر، لفت الانتباه إلى نزوع ملتون الى الصورة الهندسية والحركية . أما أنا فيبدو لي أن ملتون يكون أفضل ما يكون في الصور البيانية الموحية بالجُرم الهائل، والمكان الذي لا تحده حدود، والعمق الذي لا قرار له ، والنور والظلمة . فليس هناك موضوع ، ولا إطار ، سوى ذلك الذي اختاره في الفردوس المفقود ، كان من الممكن أن يمنحه مثل هذا المجال لنوع الصور البيانية التي تفوق فيها، أو يفرض عليه حاجة أقل الى تلك الطاقات من الخيال البصري التي كانت تعاني من النقص لديه .

وأنا أحسب أن معظم أشكال الاسفاف، وأشكال التقلب التي يلفت جونسون النظر إليها ، والتي يدينها بحق طالما أمكنه عزلها عزلاً دقيقاً بهذه الطريقة، ستبدو في نسب أكثر صحة إذا مانظرنا فيها من حيث علاقتها بهذا الحكم ولست، أعتقد أنه ينبغي لنا أن نحاول أن نرى على نحو واضح جداً كل ما يصوره ملتون ، بل ينبغي قبوله على أنه خليط من الرؤى المتعاقبة (\*) . فإما أن نشكو من أننا نجد اولاً ذلك الشيطان الخبيث «مغلولاً على البحيرة المشتعلة» ثم نجده بعد دقيقة أو دقيقتين يشق طريقه الى الشاطئ ، فذلك يعني أن تتوقع نوعاً من الثبات لا يقتضيه العالم الذي قدمه إلينا ملتون .

وهذا التحديد للطاقة البصرية يبدو أنه ليس مجرد نقص يمكن الإغضاء عنه ، شأن اهتمام ملتون المحدود بالكائنات البشرية ، وإنما هو فضيلة إيجابية ، حين نزور آدم وحواء في جنة عدن . ومثلما كان تصوير السمات الشخصية لآدم وحواء بدرجة أعلى خليقاً ألاً يكون ملائماً ، فإن الصورة الأكثر حيوية للفردوس الأرضي كانت